الأهرام

١٩٦٨/١٢/٢٧

أم كلثوم

بين

هذه ليلتي والاطلال

ان كلمة النقد الموسيقى لاغنية الاطلال او هذه ليلتى ، تستلزم ان يسبقها تفسير لخصائص المدرسة الغنائية التى اثرت فى تكوين الشخصية الموسيقية لرياض السنباطى ومحمد عبد الوهاب ، وام كلثوم .

ونستطيع تلخيص خصائص هذه المدرسة الغنائية فى نقطتين :

■ **اولا ...** كانت الموسيقى معناها الغناء ، وهكذا كانت الحنجرة هى الاساس فى التعبير الموسيقى ، اما الالة الموسيقية فكانت تلعب دور التابع لدور الحنجرة فى الغناء ، وكان يمتاز المطرب عن غيره من المطربين بمدى قدرته على أداء الحركة اللحنية الصعبة .

■ **ثانيا ...** موهبة ارتجال الالحان ، وكان يمتاز المطرب عن زميله بمدى قدرته على الابتكار الفورى للالحان اثناء الغناء

ولقد تبلورت خصائص هذه المدرسة الغنائية فى شخصية عملاق الاداء وارتجال الالحان عبده الحامولى [١٨٤٥ـ١٩٠١] وفى اطار عصره بدات تتطور قدرات الملحن المصرى نحو تحديد كيان لحنى مستقل للدور الغنائى ، وتم ذلك على يد الملحن محمد عثمان [١٨٥٥ـ١٩٠٠]

الفرق بين ارتجال الالحان والتلحين

اولا ... ارتجال الالحان هو اسلوب ابتكار النغم من وحى لحظة الغناء ، وهو مرحلة اولية من مراحل التلحين ويمتاز المغنى الموهوب بمدى قدرته على ارتجال الالحان ، وقمة هذا الارتجال تظهر فى « الموال » وعادة تختلف الالحان المرتجلة عند المغنى الواحد للقصيدة الواحدة او الموال الواحد من حفلة موسيقية الى حفلة اخرى .

ثانيا ... التلحين هو اسلوب ابتكار الالحان بقصد تكوين شكل موسيقى نهائى ومحدد لحركة الالحان وعلاقاتها ببعضها

ـ فى ضوء التحليل السابق لخصائص مدرسة الغناء المصرى منذ عصر عبده الحامولى ومحمد عثمان نستطيع معرفة العناصر الاساسية فى بناء الشخصية الموسيقية لام كلثوم ، ومحمد عبد الوهاب ورياض السنباطى .

الشخصية الموسيقية لام كلثوم ... عناصرها

اولا ... الاداء وهو حصيلة التدريب على الحركات اللحنية الصعبة التى تبلورت فى مدرسة الغناء القديمة ، كذلك التدريب على تجويد القرآن ، وهذا الاداء يظهر واضحا فى قصائدها الغنائية القديمة مثل « افديه ان حفظ الهوى او ضيعا » ، « كم بعثنا مع النسيم سلاما » ، « اراك عصى الدمع »

ثانيا ... موهبة ابتكار الحان فورية نابعة من الالحان الاصلية التى تتكون منها الاغنية .

الشخصية الموسيقية لمحمد عبد الوهاب عناصرها .

اولا ... بدا عبد الوهاب حياته الموسيقية مطربا ، واداؤه الغنائى هو حصيلة التدريب على الحركات اللحنية الصعبة ، وكان عبد الوهاب ، بعد سيد درويش ، هو احد المطربين الرواد الذين بسطوا حركات الاداء اللحنى ، وجعلوها فى خدمة التعبير عن عواطف ومشاعر الانسان ، وعبد الوهاب المغنى يتمتع فى نفس الوقت بموهبة ارتجال الالحان ، وهذه الموهبة هى التى اخذت تتطور بالخبرة العملية حتى اصبح عبد الوهاب ملحنا فى اطار هذه الخبرة .

الشخصية الموسيقية لرياض السنباطى ... عناصرها.

اولا ... الاداء الغنائى ، ولقد اكتسب رياض السنباطى هذا الاداء من مدرسة الغناء القديمة ولعب دورا فى تبسيط حركة الاداء اللحنى ، وبذلك خلق اسلوبه فى الاداء الغنائى الشاعرى .

ام كلثوم اداء اصيل + موهبة فى ارتجال الالحان ..

ثانيا ... موهبة ارتجال الالحان ، وباستمرار التجربة العملية اصبح رياض السنباطى ملحنا فى اطار هذه التجربة .

اسلوب رياض فى تلحين الاطلال

اهم خصائص هذا الاسلوب ، **اولا ...** تشكيل الالحان احيانا بايقاع حر يمكن تشبيهه بالايقاع الحر فى كتابة النثر الادبى ، واحيانا اخرى بالايقاع الموزون والذى يمكن تشبيهه بالايقاع الموزون فى الشعر .

ثانيا ... الزكزكة من حين لاخر على نغمة الاساس فى سلم المقام الموسيقى وهذا يساعد على اشباع مشاعر المستمع بلون المقام الموسيقى الذى يستخدمه فى تكوين الالحان .

ثالثا ... الزخرفة النغمية وتظهر بوضوح فى عزف القانون والناى ، وتستمع الى هذه الزخرفة حول الخط الغنائى الذى تؤديه ام كلثوم ويمكن تشبيه هذا النسيج الموسيقى الزخرفى بقطعة من نسيج الدانتيل .

خامسا ... يبدو رياض السنباطى متاثرا ببعض خصائص الاداء الاوركسترالى العالمى ، ويتحصر هذا التاثر فى استخدامه رعشة القوس فى الالات الوترية ـ كمان وشيللو ـ واداء الرعشة معروف فى الاصطلاح الموسيقى العالمى ـ تريمولو ـ واحساس المستمع برعشة قوس الكمان تريب من احساس المشاهد لالوان لوحة داكنة .

العناصر الموسيقية فى اغنية الاطلال-

اولا ... المقامات الموسيقية المستخدمة فى مصر والبلاد العربية ، وهذه المقامات تاخذ شكل سلالم من النغم ومنها تتكون الالحان .

ثانيا ... الايقاع .. ولقد ظهر استخدام السنباطى لايقاعات الاذكار الدينية وباداء الدفوف واضحا عند مقطع « هل راى الحب » .

ثالثا ... اداء ام كلثوم ، وظهرت فيه ملامح الاداء القرآنى واضحة فى مقطع « ومن الشرق رسول بيننا » كما ظهر الاداء القصاندى القديم والذى يذكرنا بأداء ام كلثوم فى قصيدة « اراك عصى الدمع » وذلك عند مقطع « ايها الساهر تغفو تذكر العهد وتصحو » فى اغنية الاطلال .

ام كلثوم وموهبة ارتجال الالحان

ظهرت هذه الموهبة بدرجة عالية فى الخط اللحنى الذى ارتجلته ام كلثوم وهى تؤديه بكلمة « آه » فى نفس الوقت الذى تؤدى فيه الفرقة الموسيقية لحنا مختلفا تتكون منه اللازمة الموسيقية فى اغنية الاطلال .

اسلوب عبد الوهاب فى تلحين ((هذه ليلتى)) اهم خصائص هذا الاسلوب :

اولا ... تشكيل الالحان ذات الايقاع الحر بجانب تشكيل الالحان ذات الايقاع الموزون وتركيز الاحساس بالمقام الموسيقى

ثانيا ... استخدام الوقفات الموسيقية المفاجئة مثل الوقفة اللحنية الغير متوقعة فى تلحين مقطع « الهوى انت كله والاماني » .

ثالثا .. ان عبد الوهاب حول اللازمة الموسيقية القصيرة ووظيفتها اساسا ربط المقاطع الغنائية ، حولها الى مقطوعات موسيقية متناقضة مع الخط الغنائى الذى تؤديه ام كلثوم ، بينما هذه المقطوعات الموسيقية تعكس طابع الموسيقى الاوربية الخفيفة احيانا والسيمفونية او الجاز احيانا اخرى ، نجد الخط الغنائى لام كلثوم يعكس الطابع المصرى التقليدى الاصيل . واذا عدنا الى رياض السنباطى وجدناه يلتزم استخدام العناصر الموسيقية المحلية فى اغنية الاطلال وباسلوب يعكس التطور السليم النابع من اساليب ارتجال الالحان او التلحين القديم .

سليمان جميل

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية